قراءات في الأنثروبولوجيا اللغوية

منتظر محمود غني
قسم علم الاجتماع – انثروبولوجيا

Abstract

The research paper is entitled (Readings in Linguistic Anthropology), and it is one of the recent linguistic sub fields that emerged in the second half of the nineteenth century.

The importance of the study lies in the fact that it presents an overview of this sub-field , which is considered one of the branches of the anthropology of American culture. Linguistic anthropology has dealt with the language of society by studying and analyzing it in an effort to reach the cultural and cognitive structure that makes up the social fabric.

I divided the research paper into two sections, preceded by an introduction. In the first section, I presented the concept of anthropology, linguistic anthropology, and the branches of linguistics in it, as well as presenting the historical stages that linguistic anthropology went through. As for the second section, I presented the relationship between culture and language, and between language and the cultural symbol. In addition, I displayed a model for study by the scientist (Lévi-Strauss) in the field of anthropological linguistics. Finally, the research paper is summed up with the conclusion to show the most important findings of the study.

Email:
Sgsus57w5wus@gmail.com

Published:1-12-2023

Keywords: الانثروبولوجيا اللغوية – اللغة – الرمز اللغوي

هذه مقالة وصول مفتوح بموجب ترخيص
CC BY 4.0
(http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

الملخص

تكمن أهمية البحث في كونه يقدم صورة عن هذا العلم الذي يُعتبر أحد أفرع الانثروبولوجيا الثقافية الامريكية ، فقد تناول الأنثروبولوجيا اللغوية لغة المجتمع بالدراسة والتحليل سعياً منه للوصول الى البنية الثقافية والمعرفية التي يتكون منها النسيج الاجتماعي .

يقع البحث تحت عنوان (الانثروبولوجيا اللغوية) ، وهو أحد العلوم الإنسانية اللغوية الحديثة ، التي انبثقت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

قسمت البحث على مبحثين تتقدمها مقدمة ، ففي المبحث الأول عرضت (لمفهوم الانثروبولوجيا ، والانثروبولوجيا اللغوية ، واقسام اللغة فيها ، فضلاً عن عرض المراحل التأريخية التي مرت بها انثروبولوجيا اللغة) ، أما المبحث الثاني فقد عرضت فيه (العلاقة بين الثقافة واللغة ، وبين اللغة والرمز الثقافي ، وقدمت انموذجاً لدراسة العالم الانثروبولوجي (ليفي شتراوس) في مجال اللسانيات الانثروبولوجية ، ثم جاءت الخاتمة لتبين أهم ما توصل إليه البحث من نتائج .

المقدمة

يقع البحث تحت عنوان (قراءات في الأنثروبولوجيا اللغوية) ، وهو أحد أحدث العلوم اللغوية التي انبثقت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

تكمن أهمية الدراسة في كونها تُقدِّم صورة عن هذا العلم الذي يُعتبر أحد أفرع انثروبولوجيا الثقافة الأمريكية ، فقد تناولت الانثروبولوجيا اللغوية لغة المجتمع بالدراسة والتحليل سعياً منها للوصول إلى البنية الثقافية والمعرفية التي يتكون منها النسيج الاجتماعي .

قسمتُ البحث على مبحثين ، ففي المبحث الأول عرضت لمفهوم الانثروبولوجيا ، والانثروبولوجيا اللغوية ، وأقسام علم اللغة فيها ، فضلا عن عرض المراحل التأريخية التي مرت بها انثروبولوجيا اللغة ، أمّا المبحث الثاني فقد عرضت فيه العلاقة بين الثقافة واللغة ، وبين اللغة والرمز الثقافي ، وقدمت انموذجاً لدراسة العالم (ليفي شتراوس) في مجال اللسانيات الانثروبولوجية ، ثم جاءت الخاتمة لتبيّن أهم ما توصل إليه البحث من نتائج .

المبحث الأول

الانثروبولوجيا اللغوية

أولاً – مفهوم الانثروبولوجيا : وهي كلمة انكليزية (Anthrobology) مشتقة من الأصل اليوناني ، تتكون من مقطعين ، الأول Anthropos ، ومعناه الانسان ، أمّا المقطع الثاني (Locos) فمعناه : علم ، ولذلك يصبح معنى الانثروبولوجيا (علم الانسان) ، أي العلم الذي يدرس الإنسان ، وتعرف الانثروبولوجيا على أنها العلم الذي يدرس الانسان من حيث هو كائن عضوي يعيش في مجتمع معين تسودهُ نظم وأنساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة [١] .

كما تعرف الانثروبولوجيا أيضاً بأنها علم دراسة الانسان طبيعيا واجتماعياً وحضارياً ، أي ان الانثروبولوجيا لا تدرس الانسان ككائن وحيد ومنعزل عن أبناء مجتمعه وجنسه ، وإنّما تدرسه كائناً اجتماعياً بطبعه له ميزات خاصة في زمان ومكان معينين [٢] .

ثانياً – الانثروبولوجيا اللغوية :

وهو أحد فروع الانثروبولوجيا الثقافية ؛ لأنّ اللغة هي أحد عناصر الثقافة ، بل هي أهم تلك العناصر [٣] .

ويعرف أيضا على أنه علم اللغويات الذي يبحث في تركيب اللغات الانسانية المنقرضة والحية ولا سيما المكتوبة منها في السجلات التاريخية ، كاللاتينية أو اليونانية القديمة ، واللغات الحية المستخدمة في الوقت الحاضر كالعربية والفرنسية والانكليزية .

ويهتم دارسو اللغات بالرموز اللغوية المستعملة إلى جانب العلاقة القائمة بين لغة شعب ما ، والجوانب الأخرى من ثقافته باعتبار اللغة وعاء ناقل للثقافة . وكما ان من صفات الانسان التي يتميز بها عن الكائنات الحية الأخرى هي اللغة ، فهي طريقة للتخاطب والتفاهم بين الأفراد والشعوب بوساطة رموز صوتية وأشكال كلامية متفق عليها ويمكن تعلمها ، فضلاً عن كونها وسيلة لنقل التراث الثقافي والحضاري إذ يمكن استخدام معظم اللغات في كتابة هذا التراث [٤] .

ولذلك فإن فرع اللغويات حالياً هو من أكثر فروع الانثروبولوجيا الثقافية ، استقلالاً وانعزالاً عن باقي الفروع الأخرى ، فدراسة اللغات يمكن أن تجري دونما اهتمام كبير بعلاقتها مع الجوانب الأخرى في النشاط الانساني ، ويوجد في واقع حالات كثيرة ، ومما لا شكّ فيه أن اللغات بما فيها من تراكيب معقدة ومتشابكة ، وما ينطوي هذا التنوع الهائل لا سيما منذ الشعوب البدائية تزود الباحث بمادة دراسية عذبة لا يمكن حصرها [٥] .

إن علم اللغة يقدم براهين المساعدة في الدراسة مثلاً مسائل القرابة من خلال تقديم أصول الكلمات وما ينتج عنها من علاقات في بعض ألفاظ القرابة التي لم تكن مدركة بصورة مباشرة من قبل عالم الانثروبولوجيا ، وبذلك يلتقي علماء الانثروبولوجيا بهدف مقارنة الفروع التي ينتجها هؤلاء العلماء . كما

ان نقطة اقتراب اللغويين من علماء الانثروبولوجيا آملين في جعل دراستهم أكثر واقعية ، وفي المقابل يلتمس الانثروبولوجيون اللغويين كلما توسموا فيهم القدرة على إخراجهم من الاضطراب الذي ألقتهم فيه على ما يبدو إلفتهم الزائدة مع الظاهرات المادية والتجريبية [٦] .

ثالثاً – أقسام علم اللغويات

يقسم علم اللغويات إلى أقسام فرعية هي :

١- علم اللغويات الوصفي : وهو العلم الذي يهتم بتحليل اللغات في زمن محدد ويدرس النظم الصوتية وقواعد اللغة والمفردات ، ويعتمد علم اللغة في دراساته على اللغة الكلامية ؛ لذلك يستمع إلى المواطنين وخاصة ان معظم دراسته تكون متعلقة بلغات كلامية لم تكتب بعدة فيقوم عالم اللغة بكتابة تلك اللغات عن طريق استخدام رموز جدولية متعارف عليها ، وتتركز معظم تلك الدراسات في المجتمعات البدائية التي لم تعرف القراءة والكتابة ولكنها ذات لغة كلامية ؛ إذ لا يوجد مجتمع إنساني مهما تخلفت ثقافته بدون لغة كلامية .

٢- علم أصول اللغات : يهدف إلى تحديد أصول اللغات الانسانية ؛ ولذلك يختص بالجانب التأريخي والمقارن ، حيث يدرس العلاقات التأريخية بين اللغات التي يمكن متابعة تأريخها عن طريق وثائق مكتوبة ، وتكون المشكلة أكثر تعقيداً بالنسبة للغات القديمة التي لم تترك أية وثائق مكتوبة تدل عليها ، ولكن ثمة وسائل خاصة يمكن لباحث الانثروبولوجي أن يستخدمها في دراسة تاريخ تلك اللغات . وهناك علاقات تعاونية بين علم اللغات والانثروبولوجي الثقافي ؛ ذلك لأنه على كل انثروبولوجي اجتماعي أن يدرس لغة المجتمع الذي يجري عليه بحثه . ويقدم علم اللغويات في العصر الحاضر مناهج علمية وآليات دقيقة في دراسة لغات العالم ، واستطاعت من خلال ذلك أن يتوصلوا إلى قوانين عامة لا تقل أهميتها عن العلوم الطبيعية ، وتثير (مورفولوجية) اللغة أسئلة بعيدة المدى تتصل بمبدأين : الفيزياء والقيم ، فاللغة ليست مجرد أداة للاتصال أو لاستثارة الانفعالات فحسب ، وإنما هي وسيلة لتصنيف الخبرات [٧] .

إنّ علماء اللغة لم يتمكنوا من تحديد أسبقية لغة على أخرى ، فقد توصلوا من خلال دراساتهم إلى تصنيف اللغات المختلفة بحسب طبيعة الاستخدام على ثلاثة ، وهي :

١. اللغات المنعزلة : وهي اللغات التي تتخاطب بها فئات منعزلة عن الفئات الأخرى ، ولا تفهمها إلا تلك الفئات المتحدثة بها ، وهي لغة لا تكتب وليس لها تاريخ .

٢. اللغات الملتصقة : وهي اللغات التي تتخاطب بها شعوب كبيرة ولكنها ملتصقة بهم وبتراثهم ، وهي لغات معروفة ولكن ليس لها قواعد ، وانما تعتمد على المقاطع والكلمات مثل اللغة الصينية .

٣. اللغات ذات القواعد (النحو والصرف) : وهي اللغات الحديثة التي تستخدمها الأمم المتحضرة ، ولها قواعد نحوية وصرفية ، وتضبط جملها وقوالبها اللغوية ، مثل : اللغة العربية واللغات الأوربية [٨] .

رابعاً – التاريخ التطوري للانثروبولوجيا اللغوية

لا شكّ أن العلوم الحديثة وأقسامها بدأت بعد أعمال العلماء التطوريين وعلى رأسهم (**سبنسر**) ، والعالم (**شارل داروين**) اللذين بحثا في اللغات الأم [*]، واللغات ، واللغات الميتة والحية ، والاغريقية ، والقبطية . وبعد أعمال كل من (**فرديناند دي سوسير** ، **وجاكوب سون**) اللذين مهدا للبنيوية ، فإن الانثروبولوجيا استفادت استفادة بالغة من هذه الدراسات والأعمال وذلك من خلال البحث في تلك العلاقة بين اللغة والثقافة في المجتمعات الشفاهية [**].

إن هذه العلاقة الموجودة بين الثقافة واللغة قد تم التعبير عنها بمصطلح الانثرولغوية ، وهي الوصف والتحليل الشكلي والظاهري للّغات التقليدية والمحلية [***]على مستوى علم الأصوات وحتى على مستوى النحو . كما أكد (**همبولت**) و(**سابير**) أن لكل لغة تعبر عن نظرة مجتمع ما وعن تصور خاص لهذا المجتمع الذي يتكلم أفراده بها [٩] .

ومن أهم المدارس التي تناولت :

١– المدرسة البريطانية :

كانت أول استفادة من علم اللغة واللسانيات في حقل البحوث الانثروبولوجية هي محاولة الربط المنهجي بين مخرجات الدرس اللغوي والدراسات الانثروبولوجية الاجتماعية على يد الباحثين والاكاديميين في المعاهد والمخابر المتخصصة ؛ لهذا فإن المسار التاريخي وبعد جهود العالم البريطاني (**مالينوفسكي**) الرائد في المدرسة البريطانية ، الذي أكد في تحليلاته لموضوعات ثقافة المجتمعات على حاجة ملحة إلى بناء مبادئ نظرية انثرولغوية لتوجه الباحث الانثروبولوجي أثناء عمله لكي تكشف عن كيفية تأثر الأشكال اللغوية بالعناصر والمكونات الثقافية للمجتمع [١٠] .

وكان اهتمام العالم الانثروبولوجي (**مالينوفسكي**) ينصب بحوثه بدراسة معنى اللغات البدائية بشكل خاص وحيث عده من الأساسيات والمرتكزات في الدراسات الانثروبولوجية ، وله مقال بارز شهير (مشكلة المبنى في اللغات البدائية) ، والذي تم نشره عام ١٩٢٣ م ، وحينئذ أصبح (**مالينوفسكي**)

يمثل المدرسة الانكليزية في بحوثها الانثرولغوية ، والمنادي بمبدأ التكافل في العلاقة بين اللغة ومظاهر الثقافة [١١] .

٢- المدرسة الفرنسية :

سارت المدرسة الفرنسية وفق مراحل الدراسات الانثرولغوية للبحوث الانكليزية ، إذ تؤكد ان من أهم مبادئ البحث الانثروبولوجي الحديث ، النظر إلى العلاقة بين اللغة والمظاهر الثقافية على أنها علاقة انسجام ، ولعلنا نجد أبرز لغوي فرنسي شهير (**ليفي شتراوس**) الذي يدعو إلى تطبيق المنهج الفنولوجي ، ويعرف هو أحد مناهج اللسانية المتطورة على الوقائع الاجتماعية وما يشاكلها من العناصر الثقافية ، كما ان أغلب توجيهات اللغويين الفرنسيين المحدثين في المدرسة الفرنسية نحو المسلك اللغوي التحليلي في الكشف بين اللغة والثقافة ، ساعين إلى الربط المنهجي سواء من الناحية النظرية أو التطبيقية أو الميدانية بين اللغة والثقافة وتوظيف الآليات اللغوية اللسانية في دراسة وبحث موضوع ثقافة المجتمعات محاولين المساهمة في تأسيس النظرية الانثرولغوية .

٣- المدرسة الامريكية :

أمّا في المدرسة الأمريكية المتمثلة في تصورها للعلاقة بين اللغة والثقافة أقرب تصور للمدرسة الفرنسية ، فاللغة عندها هي عبارة عن نتاج ثقافي أو ميراث اجتماعي ؛ لذلك منذ فترة مبكرة بدأت محاولا الربط بين اللسانيات والدراسات الانثروبولوجية الامريكية جادة على اعتبار اللغة والثقافة عند أكثر دارسيها اللغويين الانثروبولوجيين على حد سواء مرتبطتان ارتباطاً عضوياً ، وخاصة إن نشأة حياة الامريكيين الجدد ولا سيما مع الانثروبولوجي اللغوي (**فرانس بواز**) ، فتشكلت في الولايات المتحدة مدرسة صارت بعد ذلك عريقة في بحوثها الانثروبولوجية حيث كان (**فرانس بواز**) من الرواد المؤسسين للمدرسة الانثرولغوية في أمريكا وأكثرها اهتماما ، وفي مقدمة كتابه (Hand bouk of amrican in) الذي تعد مقدمته قامت عليه المدرسة الامريكية حيث تناول فيها العلاقة بين علم الانثروبولوجيا الذي يدرس الظواهر اللاشعورية في المجتمع وعلم اللغة الذي يمثل أهمية خاصة في فهم هذه الظواهر [١٢] .

وقدّم (**بواز**) في كتابه (Introduction) عام ١٩١١ نظرية عامة عن الفئات النحوية والوحدات اللغوية اللازمة لتحليل اللغات الهندية الامريكية ، وجادل ضد فكرة التعميم المفرط الذي يحجب الاختلافات بين اللغات ، فحدد الجملة (على عكس الكلمة) كوحدة للتعبير عن الأفكار ، وسرد عدداً من الفئات النحوية التي من المحتمل أن توجد جميع اللغات مع الإشارة ان المحتوى للكلمات (معنى

عناصر المعجمية) وهي لغة محددة وتصف تلك اللغات الواقع بشكل مختلف ، وعبر عن لغة ما عن روابط دلالية بين الكلمات المتعلقة بالحقل الدلالي عن طريق جذع أساس واحد ، في حين تحتوي لغة أخرى كلمات لا علاقة لها بالكلية ، ومثال النوع الأخير ذكر بواس (١٩١١) الكلمات المختلفة التي تستخدم في اللغة الانكليزية للمفاهيم تركز على فكرة الماء ، البحيرة ، برك ، المطر ، الندى ، الموجة ، الرغوة ، وأربع كلمات مختلفة للمفاهيم القائمة على الثلج في الاسكيمو ، ثم أخذ هذه الأمثلة في وقت لاحق خارج السياق ، وزاد عدد كلمات الثلوج في الاسكيمو بشكل أكبر خلال العقود القادمة من منشورات الاكاديمية والشعبية [١٣] .

ومن اللغويين الذين كان لهم دور بارز في المدرسة الأمريكية هو الانثروبولوجي اللساني (**سابير**) الذي يرى أن اللغة أسبق الجوانب الثقافية في مجال النمو والرقي الانساني مما ساعدها على أن تصبح وسيلة هامة في تحقيق النمو للثقافة ككل ، أمّا (**بلومفيلد**) اللساني البنيوي والمؤسس الحقيقي للغويات الامريكية الذي عدّ اللغة من أكثر العلوم الانسانية التصاقاً بعلم الانثروبولوجيا ، وهكذا اهتم اللسانيون الامريكيون وغيرهم من المعاصرين اليوم بعلم الانثروبولوجيا اللسانية بعدما استقرت فكرة العلاقة بين العلمين فدرسوا لغات المجتمعات التي وقفوا على بحثها مستخدمين المنهج اللساني الحديث في مؤلفاتهم قواعدها وواصفين لمفرداتها ومجالاتها . كما انتهى علماء اللغويات بعد احتكاكهم بالدراسات الانثروبولوجية على أساس العلاقة البارزة والمؤثرة بين اللغة والثقافة ، إلى تعريف علم اللسانيات الانثروبولوجية بأنه العلم الذي يدرس اللغة وعلاقتها بالبيئة الثقافية التي تنشأ فيها والدور المميز الذي تقوم به كوعاء للثقافة ، كما اهتم اللسانيون بدراسة تجارب الجماعة اللغوية بخصائصها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والمعجمية الخاصة بالزواج والميلاد والوفاة ، وعلاقة ذلك كله بمعتقدات المجتمع وأفكاره ولا سيما المجتمعات البدائية [١٤] .

المبحث الثاني

العلاقة بين الثقافة واللغة

تمثّل اللغة تمثل جانباً أساسياً من جوانب الحياة الانسانية واهتمام الباحثين منذ وقت مبكر ، وتعددت آراؤهم تبعاً لتخصصاتهم ، ففي تعريف الفيلسوف (**هيجل**) ، ينظر إلى اللغة كوسيلة للتعبير الخارجي عن المعنى الباطني للتفكير ، في حين يعرفها العالم (**سكنر**) بأنها عادة مكتسبة تمكن الانسان من التعبير عن استجابته للمؤثرات الخارجية التي يواجهها ، ويعرفها العالم الانثروبولوجي

(**سابير**) بأنها وسيلة انسانية لتوصيل الأفكار والمشاعر والرغبات بين أفراد المجتمع من خلال نسق رمزي متفق عليه .

وتمثل أهم دور قام به علماء الانثروبولوجيا بالنسبة لدراسة اللغة في تأكيد العلاقة الوثيقة بين اللغة والثقافة ((إلى حد القول بأنه لو لم تكن هنالك لغة لما كانت هنالك ثقافة على الاطلاق ؛ وذلك لأن اللغة تؤلف عاملاً أساسياً ومهماً في قيام الحياة الاجتماعية بكل ما فيها من نظم وأنساق)) [١٥] ، ووجه علماء الأنثروبولوجيا الأنظار إلى ضرورة الاهتمام بموضوعات أساسية ذات صلة قوية باستخدامنا للّغة ، كعلاقة المعاني بالعناصر اللغوية في عمليات الاتصال بين الأفراد والجماعات ومدى تأثر هذه العناصر بالعوامل الاجتماعية والثقافية كالانتماء لطبيعة أو لمهنة معينة ، وكذلك دور اللغة في نقل التراث الثقافي من جيل إلى آخر وفي صياغة رؤية الأفراد لعناصر العالم الواقعي المحيط بهم [١٦] .

ويرى أصحاب علم اللسانيات الانثروبولوجية أن السلوك اللغوي لأعضاء الجماعة اللغوية المجتمع الواحد يظهر المتكلم بشكل مباشر على أنه حامل لنمط معين من أنماط الثقافة ، وأن أكثر الظواهر الملائمة للملاحظة العلمية والمباشرة ، حيث أن الثقافة واللغة كلتيهما تلعبان دوراً مهماً في تكوين المجتمعات الانسانية والعرقية المتميزة [١٧] .

ويرى (**إدوارد سابير**) في مناقشته لدور اللغة في الحياة الثقافية للمجتمعات البشرية على أنه من الصعب فصل اللغة عن الثقافة ، واستعمال يأخذ معناه الواسع ليدل على التصورات والمفاهيم التي كونتها المجموعات البشرية عن العالم المحيط بها ، كما اقتفى (**وورف**) أثر أستاذه (**سابير**) في البحث في هذا المجال ، وقد توصل من خلال دراسته الميدانية عن الهنود الحمر إلى مجموعة من النتائج العلمية اقترن باسمه وصارت تعرف بـ (فرضية وورف) حيث ذهب في هذه الدراسة إلى أن اللغة ليست في جوهرها وسيلة للتعبير عن الأفكار ، بل هي نفسها هي التي تشكل الأفكار ، وقد عرض أمثلة كثيرة من لغات متعددة منها نماذج من بنية الأفعال في إحدى لغات الهنود الحمر وهي المساة (هوبي) وعقد مقارنة بين اللغة الانكليزية وبينها في بنية الفعل ، فوجد ان الزمن يختلف اختلافاً جذرياً بين اللغتين [١٨] .

ولقد انتهت على البحوث الميدانية حول طبيعة علاقة اللغة بالثقافة إلى أن اللغة ترتبط بشكل أساسي بالثقافة ، إذ تقوم عليه العلاقات داخل المجتمع ، كما انها الوسيلة التي تنقل الثقافات عبر الأجيال .

اللغة والرمز الثقافي :

يربط العالم العربي ابن مكسويه بين اللغة كنسق رمزي وبين حاجة الانسان إليها في المشاركة الاجتماعية مع غيره من أجل استمرار البقاء فيقول ((إن الإنسان الواحد لما كان غير مكتف بنفسه في حياته احتاج إلى استدعاء ضروراته في مادة بقائه من غيره وهذه المعاونات والضرورات المقتسمة بين الناس التي بها يصح بقاؤهم وتتم حياتهم وتتحسن معيشتهم وهي اعيان من أمور مختلفة وأحوال غير متفقة وهي غير متناهية ، وربما كانت حاضرة فصحت الاشارة إليها ، وربما كانت غائبة فلم تكتف الاشارة فيها ، فلم يكن من أن يفزع إلى الحركات بأصوات دالة على هذه المعاني بالاصطلاح ليستدعيها بعض الناس من بعض ، وليعاون بعضهم بعضاً ، فيتم لهم البقاء الانساني وتكتمل فيهم الحياة البشرية)) [١٩] .

وحديث ابن مكسويه لا يتناول فقط الدور الاجتماعي للّغة وإنما يشير إلى الحركات الصوتية التي اصطلح عليها الافراد للدلالة على المعاني أي العلاقة بين الثقافة المتمثل في مظهرها اللغوي وبين الرمز ، وهذه العلاقة اهتم بها علماء الانثروبولوجيا مثل (**سابير**) الذي اهتم بالرمز في المجال اللغوي و(ليزلي وايت) الذي اهتم في المجال الثقافي الأوسع ، مؤكداً أن ((الثقافة تعتمد في جوانبها الايديولوجية والسوسيولوجية والتكنولوجية على عملية الرمز وخاصة التعبير اللغوي . وللرمز في اللغة جانبان : أولهما الرمز الدال وهو التعبير الصوتي أو الحرفي الذي نسميه أو نراه في الرمز مثل كلمة (شجرة) عندما نسمعها أو نقرأها ، وثانيهما المدلول أو الدلالة أي المعنى أو المضمون الذي يشير إليه الرمز ، ومن الطبيعي أن يكون الارتباط وثيقاً بين الجانبين الحسي والمعنوي للرمز اللغوي ، حتى ان البعض يشبههما بوجه الورقة الواحدة وظهر ، بحيث لو مزقنا الورقة لا نستطيع بأننا مزقنا الوجه وحده أو الظهر وحده ، فالكلمات هي الوسائل الرمزية التي تجعل الانتقال من الأصوات إلى المعاني أمراً ممكناً لأن كل كلمة تحمل مجموعة من الخصائص الصوتية ومن الخصائص الدلالية في نفس الوقت ، وتستطيع من خلال هذين النوعين من الخصائص الاشتراك مع غيرها من الكلمات في نقل رسالة معرفية معينة بين طرف وآخر ومن ثم تحقق الاتصال بينهما [٢٠] .

نموذج لدراسة ليفي شتراوس في مجال اللسانيات الانثروبولوجية
نظام القرابة انموذجاً

كانت أول مقال له عن التحليل البنيوي في علم اللغة والانثروبولوجيا ، نشر لأول مرة في مجلة (Word) عام ١٩٤٥ ، حيث يرى الأحاد أو الافراد الداخلين في علاقة القرابة شأنهم في ذلك الوحدات الصوتية ، لفهم العناصر لها ووظائفها في نظام القرابة ، ولا تكتسب هذه العناصر وظيفتها إلا بتكاملها

في نظام أو بناء ، فالأشخاص لا يكتسبون قيمهم ووظيفتهم إلا في دخولهم في نظام القرابة بوظيفة معين ، وهذا يبين النظام الصوتي بعلاقاته العضوية ودوره الوظيفي مستقر في ذهن الجماعة اللغوية ، فإن نظام القرابة أيضا مستقر على هذا النحو .

إن أشكال القرابة وقواعد العلاقات الاجتماعية التي تستند إلى القرابة والمصاهرة في المجتمعات المختلفة ، تشبه في ذلك الوحدات الصوتية الموجودة في اللغات التي تتحدث بها هذه المجتمعات .

وعلى الرغم من تعدد أشكال القرابة وكثرتها ، ورغم كثرة الألفاظ وكثرة اللغات أيضا ، إلا أن عددها محدود ، وتكون عناصر النظام الصوتي الفوتيمات للغة ، فمصطلحات القرابة تكون النظام القرابي من خلال وظيفتها الاشارية ، وعليه فإن مصطلحات القرابة لا تقتصر فقط على الوجود الاجتماعي ، بل تشمل عناصر الكلام ؛ لأنها جزء من مفردات لغة الجماعة ، فتكون مصطلحات القرابة نظاماً خاصة بالقرابة وفي الوقت نفسه هي جزء من المفردات اللغوية ؛ لأنها تستعمل في عملية التواصل أو الكلام (٢١) .

وإن أهم ما يميز النظام الصوتي هي القيمة الخلافية ، حيث ان الوحدات الصوتية تدخل في علاقات خلافية تميزها عن غيرها من الوحدات الصوتية للنظام ، مثال صوتي (السين ، والصاد) فكلاهما صوت اسناني لثوي مهموس ، أمّا السمة الخلافية فهي ان الصاد مفخم والسين مرقق .

أما مفهوم السمة الفارقة أو القيمة الخلافية للوحدات الصوتية على الوحدات القرابية العم والعمة فكملاهما يشترك في اخوة للأب والقرابة غير مباشرة (أي قرابة جانبية وليست خطية) ، وكبر السن بالنسبة للأفراد ونجد ان السمة الفارقة بين الذكورة والانوثة كذلك نفس الشيء ، وينطبق كذلك على الخال والخالة والجد والجدة .

وإن من مميزات النظام الصوتي وجود الثنائيات الفارقة الصامت في مقابل الصائت ، والمهموس في مقابل المجهور ، والشديد مقابل الرخو ، والمفخم مقابل المرفق ، فنجد مثلاً الضاد مقابل الدال ، والطاء مقابل التاء (٢٢) .

وقد طبق مبدأ الثنائيات الضدية (وحدة الأضداد) في نظام القرابة حيث ان الذكر مقابل الانثى ، والكبير مقابل الصغير ، والجانبي مقابل الخطي ، والمصاهرة مقابل الدم ، ومثال على ذلك الوحدات القرابية ، الزوج مقابل الزوجة ، والأب مقابل الأم ، والأخ مقابل الأخت ، ... الخ ؛ لذلك أثناء عمل (**شتراوس**) وجد علاقة التشابه بين النظام اللغوي ونظام القرابة ، فقد لاحظ وجود ثلاث سمات لتكوين القرابة هي : علاقة الدم أو علاقة الانحدار ، وعلاقة الزواج ، أو علاقة المصاهرة ، وعلاقة الأبوة والأمومة أي علاقة انجاب .

لقد اقترب ظهور الثقافة بظهور الرموز أو العلامات التي تكون نظام اللغة ، وبما أن الثقافة ارتبط وجودها بوجود اللغة ، فإن من أبرز مميزات الثقافة إنها خاصية ينفرد بهاد الكائن الحي .

امثلة تطبيقية عن انثروبولوجيا اللغة

بما أن الباحث الانثروبولوجي يتخذ من من اللغة وسيلة لفهم الواقع الثقافي والاجتماعي ، فيعتمد اثناء نزوله لدراسة مجتمع معين على مجموعة من الأدوات التطبيقية ومنها الملاحظة بالمشاركة وتعني الملاحظة العيانية مع اشتراك الباحث في مظاهر الحياة الاجتماعية ، فيقوم الباحث بفهم ودراسة لغة المجتمع الحالية (اللهجات) . لذلك تختلف اللهجات من مجتمع الى اخر، باختلاف المكان الثقافي سواء كان مجتمع محلي ، متحضر ، ريفي ، أو أفتراضي الأكتروني . فهي تعكس أسلوب حياتهم التي يعيشونها ومن الأمثلة على ذلك

١ ـ لفظ (ترند) وتعني المشهور على نطاق واسع .
٢ ـ لفظ (تيوبر) وتعني صاحب قناة مشهورة على برنامج ألكتروني اليوتيوب.
٣ـ لفظ (تنمر) وتعني السخرية من الشخص بألفاظ جارحة .

هذه الألفاظ تعكس ثقافة المجتمع العراقي في الوقت الحاضر ،على الرغم من عدم وجود ذكر لها في قواميس اللغة العربية أوفي اللهجات العامة ، لكن أصبحت اليوم اللغة المتداولة في الوقت الحاضر ، وتكشف بدورها عن تأثر المجتمع العراقي بالمجتمع الافتراضي أكثر من تأثره بواقعه .

الخاتمة

١- إنّ الانثروبولوجيا اللغوية من أهم فروع الانثروبولوجيا الثقافية كون اللغة تمثل الجانب الانساني والثقافي ، إذ لا يمكن لأي شعب الاستغناء عن لغته ، ولا وجود للشعب دون لغته ، وتمثل اللغة الوعاء الناقل للثقافة .
٢- من خلال لغة التخاطب بواسطة الرموز الصوتية والاشكال الكلامية المختلفة تعكس تراث وثقافة المجتمع .
٣- يقوم الانثروبولوجيون اللغويون بمقارنة الأصول اللغوية مع لغة المجتمع الآنية بهدف الوصول إلى جعل أبحاثهم أكثر واقعية دون الأخذ بالجانب التأملي أو الظني .
٤- إن اللغة عند الانثروبولوجيين ليست فقط مجرد أداة للاتصال أو لاستثارة الانفعالات وإنما هي لتصنيف الخبرات .
٥- ظهرت كتابة العلماء الانثروبولوجيين من خلال دورهم في التأكيد على العلاقة المترابطة بين اللغة والثقافة في الكشف عن الحياة الاجتماعية والثقافية بما فيها من نظم وأنساق ، ولا يقتصر

فقط عند هذا الحد ، وإنما يشمل الكشف عن العلاقات بين المعاني والعناصر اللغوية في عملية الاتصال بين الأفراد والجماعة ومدى تأثرها بالحياة الاجتماعية والثقافية .

٦- يُلحظ أنّ أهمية العلاقة بين اللغة والرمز الثقافي تكمن في حاجة الانسان إليها في المشاركة الاجتماعية ، وكمذلك من أجل استمرار الحياة ، وذلك ما يستدعي لدى الانسان استخدام الاشارات الصوتية والحركية التي تحتوي على معاني كثيرة لدى الناس لغرض ديمومة واستمرار الحياة الاجتماعية .

الهوامش

(١) عيسى شماس : مدخل إلى علم الانسان (الانثروبولوجيا) ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٤ ، ص ٩-١٠ .

(٢) سليم ، شاكر ، قاموس الانثروبولوجيا ، جامعة الكويت ، ١٩٨١ ، ص ٥٦ .

(٣) د. عاطف وصفي : الانثروبولوجيا الثقافية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٠٧٧ ، ص ٣١ .

(٤) عيسى الشماس ، صدر سابق ، ص ٩٧ .

(٥) رالف لينتون : دراسة الانسان ، ترجمة : عبد الملك لناشف ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٤ ، ص ٢٠ .

(٦) كلود ليفي ستروس : الانثروبولوجيا البنيوية ، ترجمة : صالح مصطفى ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٨٣ ، ص ٤٩ .

(٧) رالف لينتون ، مصدر سابق ، ص ١٨٢ .

(٨) إبراهيم زرقانة : الانثروبولوجيا ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ١٤٨ .

(*) اللغات الأم : وهي اللغات التي تكونت أصل اللغات الحالية .

(**) المجتمعات الشفاهية : وهي المجتمعات التي لا تستخدم الكتابة كالمجتمعات التقليدية .

(***) اللغة المحلية : وهي ما يسمى باللهجات كالأمازيغية في الجزائر .

(٩) مصطفى تيلوين : مدخل عام في الانثروبولوجيا ، دار الفارابي ، الطبعة الأولى ، بيروت – لبنان ، ٢٠١١ ، ص ٣٧-٣٨ .

(١٠) كريم زكي حسام الدين : اللغة والثقافة دراسة انثرولغوية وعلاقات القرابة في الثقافة العربية ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، ص ٢٩ .

(١١) المصدر نفسه ، ص ٢٨ .

(١٢) كريم زكي حسام الدين : مصدر سابق ، ص ٤٢ .

(١٣) عبد الناصر بن ناجي : الانثروبولوجيا اللغوية ، مجلة الانثروبولوجيا ، مجلد ٥ ، العدد ٩ ، ٢٠١٩ ، ص ١٠ .

(١٤) ينظر : نور الهدى لوشن : مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، المكتبة الجامعية ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ١٦١ .

(١٥) أحمد أبو زيد : الفكر واللغة ، عالم الفكر ، المجلد الثاني ، العدد الأول ، الكويت ، ١٩٧١ ، ص ٥ .

(١٦) ينظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(١٧) ينظر : محمد محمد داود : العربية وعلم اللغة الحديث ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص ٤ .

[١٨] عبد العزيز مطر : لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، ط ١ ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ ، ص ٢١٧ .

[١٩] ابن مكسويه : الهوامل والشوامل ، تحقيق : أحمد أمين ، والسيد صقر ، القاهرة ، ١٩٥١ ، ص ٦ .

[٢٠] فتحية محمد ابراهيم ، ومصطفى حمدي الشواني ، المدخل لدراسة الانثروبولوجيا المعرفية ، دار المريخ للنشر ، الرياض – السعودية ، ١٩٩١ ، ص ١٥٩ .

[٢١] كريم زكي حسام الدين : مصدر سابق ، ص ٤٤–٤٥ .

[٢٢] كريم زكي حسام الدين : مصدر سابق ، ص ٤٦ .

المراجع

١. إبراهيم زرقانة : الانثروبولوجيا ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٥ .
٢. ابن مكسويه : الهوامل والشوامل ، تحقيق : أحمد أمين ، والسيد صقر ، القاهرة ، ١٩٥١ .
٣. أحمد أبو زيد : الفكر واللغة ، عالم الفكر ، المجلد الثاني ، العدد الأول ، الكويت ، ١٩٧١ .
٤. رالف لينتون : دراسة الانسان ، ترجمة : عبد الملك لناشف ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٤ .
٥. سليم ، شاكر : قاموس الانثروبولوجيا ، جامعة الكويت ، ١٩٨١ .
٦. د. عاطف وصفي : الانثروبولوجيا الثقافية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٠٧٧ .
٧. عبد العزيز مطر : لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، ط ١ ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ .
٨. عبد الناصر بن ناجي : الانثروبولوجيا اللغوية ، مجلة الانثروبولوجيا ، مجلد ٥ ، العدد ٩ ، ٢٠١٩ .
٩. عيسى شماس : مدخل إلى علم الانسان (الانثروبولوجيا) ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٤ .
١٠. فتحية محمد ابراهيم ، ومصطفى حمدي الشواني ، المدخل لدراسة الانثروبولوجيا المعرفية ، دار المريخ للنشر ، الرياض – السعودية ، ١٩٩١ .
١١. كريم زكي حسام الدين : اللغة والثقافة دراسة انثرولغوية وعلاقات القرابة في الثقافة العربية ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة .
١٢. كلود ليفي ستروس : الانثروبولوجيا البنيوية ، ترجمة : صالح مصطفى ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٨٣ .
١٣. محمد محمد داود : العربية وعلم اللغة الحديث ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٠ .
١٤. مصطفى تيلوين : مدخل عام في الانثروبولوجيا ، دار الفارابي ، الطبعة الأولى ، بيروت – لبنان ، ٢٠١١ .
١٥. نور الهدى لوشن : مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، المكتبة الجامعية ، القاهرة ، ٢٠٠١ .